مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 10 / العدد: 2 (2022)، ص: 364- 374

موقف الاتجاهين الفكريين العربيين الليبرالي والإسلامي من العولمة، علي حرب، محمد عمارة نموذجين

The position of Arab political intellectual trends on globalization, Ali Harb, Muhammad Emara as models

الأستاذ: بوراس يوسف[1]
[1] جامعة محمد بوضياف، المسيلة (الجزائر)
youcef.bourasse@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2022/03/18 تاريخ القبول: 22 /2022/03 تاريخ النشر: 2022/05/10

ملخص:

بعد الانهيار الذي شهدته الكتلة الاشتراكية ظهر جليا سيطرة قطب واحد على العالم، وهو ما أدى إلى الدعوات حول صراع الحضارات ونهاية التاريخ كتعبير عن الحلقات الأخيرة في هذا التاريخ. هذه الدعاوى تعبر عن نموذج لأحد أهم المواقف الداعمة للعولمة في الغرب والتي تمثل الموقف الليبرالي، قابلتها مواقف مضادة تمثلت خاصة في اليسار الفلسفي. وعلى غرار الاتجاهات في الغرب أسهمت مختلف الاتجاهات الفكرية العربية في موضوع العولمة منها الاتجاهين الليبرالي والإسلامي، فتناوله هذين الاتجاهين بين مؤيد ورافض. والهدف من هذا البحث معرفة موقف الفكر العربي من ظاهرة العولمة، خاصة مع ارتباط العولمة بالإمبريالية الأمريكية. ويمكن الحديث عن نتيجتين لهذا البحث: أولا: أن المفكر العربي ورغم تخوفه من العولمة فهو يرى بإمكانية استغلالها والاستفادة من آلياتها وأدواتها، وثانيا أن ما يمكن اعتباره سلبيات يمكن التكيف معه أو تجاوزه.

كلمات مفتاحية: : العولمة ، الفكر العربي المعاصر، الاتجاه الليبرالي، الاتجاه الإسلامي.

Abstract

After the collapse of the socialist bloc, the domination of one pole on the world became apparent, which led to the call for globalization. Where the liberals supported the idea of globalization, it was countered by counter positions, especially in the philosophical left. Similar to the trends in the West, the various Arab intellectual trends contributed to the issue of globalization. The liberal and Islamic trends dealt with it between supporters and opponents. The aim of this research is to know the position of Arab thought on the phenomenon of globalization, hence the problem of the research: Is globalization a positive phenomenon for this thought or is it negative.. We can talk about two results: that the Arab thinker, despite his fear of globalization, sees the possibility of exploiting it and benefiting from it. Its mechanisms and tools, and that what can be considered negatives can be adapted or overcome..

Keywords: Globalization, contemporary Arab thought, the liberal trend, the Islamic trend...

المؤلف المرسل: بوراس يوسف،

1. مقدمة:

نظرا للتقلبات الجيوسياسية والاقتصادية والثقافية التي أعقبت نهاية الحرب الباردة بين قطبي العالم، وسقوط الاتحاد السوفيتي نشأ وضع عالمي جديد قوامه وجود قطب واحد، وهو ما فتح الباب لهذا القطب لبسط هيمنته على

العالم في ما عرف بالعولمة. ونظرا لكونية هذا التأثير فقد استشعر الفكر العربي باتجاهاته المختلفة وخاصة الليبيرالية والاسلامية هذا الأمر ما أدى به إلى الخوض في الموضوع، محاولة الاجابة على مشكلة أساسية هي هل أن العولمة ظاهرة إيجابية يمكن التعاطي معها، أم أنها ظاهرة سلبية يجب التصدي لها وتفادي سلبياتها؟ وبناء على هذه المشكلة أمكن تصور فرضيتين للحل، أولها أنها ظاهرة إيجابية باعتبارها تمثل روح العصر، وعدم مواكبتها يعني التخلف عن هذه الروح. والفرضية الثانية تمثل الرأي النقيض الذي يعتبرها ظاهرة سلبية لما تتضمنه من هيمنة سياسية واقتصادية وثقافية وأخلاقية. والدراسة جاءت بهدف تسليط الضوء على هذا الموضوع بهدف استجلاء موقفي الاتجاهين الفكريين العربيين الليبرالي والإسلامي في الموضوع بمعرفة مبررات القبول والرفض والحلول النظرية التي يضعها هؤلاء للمشكلات التي تطرحها العولمة باعتبارها ظاهرة وافدة فرضت نفسها على واقعنا الفكري. ولذلك كان المنهج التحليلي الأقرب لطبيعة الموضوع، كما لا يمكن الاستغناء عن المنهجين التركيبي والمقارن عند محاولة الخروج بنتائج، أو اجراء مقارنة بين الموقفين.

2. مدخل للدراسة: العولمة ظاهرة جديدة قديمة، قديمة في مفهومها العام باعتبارها هيمنة ثقافة أو اقتصاد أو دولة على بقية الثقافات أو الاقتصاديات أو الدول، حيث أن التاريخ شهد العديد من النماذج لذلك. وهي جديدة من حيث تسميتها وخصوصياتها المعاصرة، لذلك وجب تتبع نشأتها عبر التاريخ، وقبل ذلك التعرض إلى مفهومها أو مفاهيمها عند الاتجاهات المختلفة للفكر العربي المعاصر.

1.2 العنوان الفرعي الأول: مفهوم العولمة: عُرفت العولمة تعريفا لغويا بحتا بالرجوع إلى جذرها اللغوي، إذ لم يكن مصطلح العولمة متداولا، وقد عرفت بعولمة على وزن فوعلة واللفظ مشتق من العَالم، كما يقال قولبة مشتق من لفظ قالب، والعَالم مفرد لا جمع له كالجيش والنفر، وهو مشتق من العلامة على ما قيل، وقيل مشتق من العِلم وذلك تفضيل مذكور في كتب اللغة، فالعولمة كالرباعي في الشكل، فهو يشبه دحرجة المصدر، لكن دحرجة رباعي منقول، أما العولمة فرباعي مخترع، وكلمة عولمة نسبة إلى العَالم بفتح العين ـ الكون ـ وليس إلى العِلم بكسر العين، والعالم جمع لا مفرد له (الظاهر، نعيم، 2010، ص9). وقد وجدت مترادفات لمصطلح العولمة من أهمها مصطلح الكوكبة، ومصطلح الكونية، حيث يعتبر إسماعيل صبري عبد الله أهم من دأب على استعمال مصطلح الكوكبة، بينما يعتبر السيد ياسين أكثر من أشاع استعمال مصطلح الكونية (أبو صالحة، أشرف غالب، 2011-2012، ص30).

هذا عن جانب التأصيل اللّغوي في اللغة العربية، أما عن أصله في اللغة الأجنبية، فنجد أن المصطلح عولمة يقابل في اللغة الأجنبية (الإنكليزية) Mondialisaition، أو Globalisation، وإن كنا نجد أن للمصطلحين استخدامين مختلفين، فالمصطلح الأول يشير إلى العولمة الاقتصادية، بينما المصطلح الثاني فيشير إلى مصطلحات متعددة ضمن مسارات معقدة، تجتمع ضمن مفهوم العولمة، فهي عولمة اقتصادية، واجتماعية، وسياسية وسيكولوجية، وهي بذلك تعني التداخل الواضح لشؤون الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول، أو الانتماء لوطن محدد أو لدولة معينة ودون الحاجة لإجراءات حكومية" (حموم، فريدة، 2012، 255). فيكون مصطلح Globalisation المصطلح الأدق في دلالته على ظاهرة العولمة.

ونلاحظ على دلالة هذه الصيغة Globalisation أنها تفيد وجود فاعل يفعل، وهذا ما نلاحظه على الصيغة ( ) Zation في الإنجليزية ،على خلاف صيغة Globalism التي تعني العالمية (خريشان، باسم علي، 2001، ص22) .

وأما اصطلاحا فقد تعددت تعريفات العولمة وذلك لتعدد مجالاتها الاقتصادية والسياسية، والثقافية، والإعلامية وغيرها. وعموما يمكن النظر إليها باعتبارها تشير إلى شيئين معا، انكماش العالم وازدياد الوعي بالعالم ككل، وهو ما يعني

تقلص جغرافية العالم بفعل كثافة الاتصال وازدياد القدرة على الإحاطة بكل جديد فيه سواء كان سياسيا، أو اقتصاديا، أو معرفيا، أو فنيا أو في أي مجال كان، وكذا إمكانات الوصول السريع لأي نقطة كانت في هذا العالم.

ومن ذلك تعريف روبتسون الذي يرى بأنها تعني تشكيل وبلورة العالم له بوصفه موقفا واحدا، وظهورا لحالة إنسانية عالمية، ولذلك فالعولمة تعني سياسيا أن للقرارات والنشاطات في مكان ما من العالم نتائج وآثار مهمة لأفراد وجماعات ومجتمعات أخرى (خلف، سليمان نجم. (شتاء 1997، ص61).

وقد تعددت تعريفات العولمة في الفكر العربي المعاصر وتنوعت، حيث ساهم مفكرو كل اتجاه فكري في هذا الأمر، ومن ذلك تعريف علي حرب "العولمة هي تعميم التبادلات

الاقتصادية والاجتماعية والثقافية على نطاق الكرة الأرضية، إنها عملية تحريك للأشياء والأفكار والأشخاص بصورة لا سابق لها من السهولة والديمومة والشمولية" (حرب، علي. 2004، ص39).

وفي الاتجاه الإسلامي تغلب النظرة التي تربط بين العولمة والأمركة باعتبارها مشروعا أمريكيا للهيمنة على العالم وخاصة العالم الإسلامي وفي هذا نجد محمد عمارة يذهب إلى أن: "العولمة هي قسر وقهر يعولم خصوصية حضارية بعينها، عندما تجتاح خصوصيات الآخرين... إن العولمة هي اجتياح الشمال للجنوب، إجتياح الحضارة الغربية ممثلة في النموذج الأمريكي للحضارات الأخرى" (عمارة، محمد. 1999، ص، ص13، 14).

2.2 نشأة وتطور العولمة: يتصور كثير من المفكرين العرب ومن بينهم حسن حنفي أن العولمة قديمة وتمتد إلى بدايات الاستعمار من حيث هي ظاهرة غربية امبريالية، هذا الاستعمار الذي بلغ مداه في القرن التاسع عشر وتراجع في القرن العشرين ليحل محله نوع جديد من الاستعمار اقتصادي وسياسي وثقافي في صورة العولمة عبر الاقتصاد الحر والمنافسة والربح وتجاوز الدولة القومية (حنفي، حسن، صادق جلال العظم. بدون تاريخ، ص20)، وهو ما يوافقه فيه جلال أمين الذي يرى أن "الاتجاه نحو العولمة قديم جدا، ولابد أن الإنسان قد شعر بأن العالم قد أصبح قرية واحدة كبيرة، أو شيء شبيه بهذا عدة مرات من قبل...كل ذلك قبل أن يخرج إلينا الإنسان المعاصر مزهوا أو مندهشا من بزوغ ظاهرة الشركات متعدية الجنسيات" (جلال أمين، 2009، ص47)

لكن المرحلة التي تشكل إجماعا لظهور العولمة، هي تلك الفترة التي تلت سقوط الاتحاد السوفياتي، وانفراد أمريكا بقيادة العالم، وهي المرحلة التي ظهرت فيها مفاهيم جديدة من قبيل نهاية التاريخ الذي كان دراسة قدمت للكونغرس من قبل فرانسيس فوكوياما بعد سقوط الشيوعية وظهور التحدي الجديد الإسلامي (فوكوياما، فرانسيس. 1993، ص3). وكذا مفهوم صراع الحضارت المقدم من قبل صامويل هنتنجتون حيث يجعل من الإسلام التحدي الجديد للغرب بعد سقوط الشيوعية، إذ يتحول الصراع من صراع الإيديولوجيات إلى صراع الحضارات (هنتجنشتون، صامويل. 1999، ص5).

ونظرا لهذه الأحادية القطبية الأمريكية والسيطرة الاقتصادية والعسكرية والتكنلوجية العلمية على العالم فقد صار يحلو لبعضهم تسميتها بالأمركة، وهي سيطرة لا يكاد يخلو منها مجال من المجالات أو منطقة من العالم وخاصة العالم الثالث. وهو ما ينطبق على العالم العربي.

3. موقف الاتجاهين الليبرالي والإسلامي من العولمة: يمكن تقسيم الاتجاهات الفكرية السياسية العربية التي وجدت وما زالت موجودة في الساحة إلى ثلاث اتجاهات أساسية هي الليبرالية (الرأسمالية)، واليسارية (الاشتراكية) والإسلامية، لقد كان موقف كل اتجاه من الاتجاهين الليبرالي والإسلامي من العولمة متجانس مع مرجعيته الفكرية والأيديولوجية، وهو ما يمكن معرفته من خلال استعراض الموقف العام لكل منهما من العولمة ثم تقديم نموذج يمثل الاتجاه.

1.3 الاتجاه الليبرالي: يعتبر الاتجاه الليبرالي من أكثر الاتجاهات الفكرية العربية ارتباطا بالغرب ودفاعا عن طروحاته الفكرية والفلسفية، وهو ما يمتد إلى فكرة العولمة.

1.3.أ: مفهوم الليبرالية: تعود كلمة الليبرالية إلى الأصل الأجنبي Liberalism وتعني التحررية، ويعود اشتقاقها إلى Liberty وتعني الحرية. وأول من قام بترجمة المصطلح إلى اللغة العربية رفاعة الطهطاوي حيث ترجم الليبرالية إلى حِريَّةٍ، والليبرالي إلى حِرِيٍ، وجمعها حِرِيُونَ، لكن مع الوقت اكتفى مستعملو المصطلح بالكلمة الأجنبية ليبرالي لسهولة نطقها على اللِّسان (الصاوي، محمود. 2011، ص17). وأما اصطلاحا فيعرفها مراد وهبة أحد رواد الليبرالية في العالم العربي أنها "نظرية اقتصادية تقوم على مبدأ المنفعة الشخصية، وأنَّ المنفعة العامة هي مجموع المنافع الشخصية، كما أنها نظرية سياسية ترقى إلى مستوى الأيديولوجية، إذ تزعم أن الحرية أساس التقدم، فتعارض السلطة المطلقة سواء كانت دنيوية أو دينية" (وهبة، مراد. 2007، ص538). والتعريف يؤكد على الطابع الفردي الذي تحمله الليبرالية، وعلى عنصر الحرية الذي أخذت منه اسمها.

1.3.ب: تسرب الليبرالية إلى العالم العربي: كان دخول الليبرالية إلى العالم العربي مع الحملة المصرية، حيث تلقاها كثير من العرب خصوصا مع البعثات الطلابية الأولى والذي كان من أشهرهم رفاعة رافع الطهطاوي، وكذا من رجال الحكم وعلى رأسهم خير الدين التونسي، ثم مجموعة من رجال الاصلاح والمسيحيين. كما تبنى النهج الليبرالي في السياسة جملة من الأحزاب أهمها حزب الوفد في مصر (شلالدة، سمير عبد الرحمان. 2008، ص،ص33، 34).

وقد تطور الاتجاه الليبرالي إلى الحد الذي صرنا نتكلم فيه عن الليبرالية الجديدة، أو النيوليبرالية والتي تعني تبني سياسة اقتصادية تقلل من دور الدولة وتزيد من دور القطاع الخاص، وهو ما يعني على المستوى السياسي إضعاف سلطة الدولة لصالح هذا القطاع. وعلى المستوى الدولي مزيدا من تدخل الشركات العالمية في الشؤون الاقتصادية للدول وتقلص دور الدولة الاجتماعي والاقتصادي انطلاقا من أن "السياسات الاجتماعية تشكل العقبة الرئيسية لا في وجه النمو الاقتصادي فحسب بل وحتى بالنسبة لبقاء الحضارة التي تهددها أحلام الاستكانة وأساليب المعيشة البديلة غير الأخلاقية ومطالب أنصار الحفاظ على البيئة" (بو، ميشيل. دو ستالير، جيل. 1971، ص150)، وقد تحقق هذا خاصة بعد انهيار القطب الشرقي الاشتراكي، وحلول الأحادية القطبية الأمريكية.

وقد واكب الفكر العربي هذا التطور على مستوى الليبرالية الغربية إذ ظهر جملة من المفكرين العرب الذين تبنوا طروحاته من أبرزهم سمير أمين الذي واكب المرحلتين التقليدية والجديدة، وشاكر النابلسي، وعلي حرب.

1.3.ج: موقف الليبراليين العرب من العولمة: كثيرون يعتبرون أن العولمة هي حاصل تطور الليبرالية، هذه الليبرالية التي وصلت قمة التطور مع دحرها للعدو الشيوعي سنة 1991 وسقوط الاتحاد السوفياتي وبروز أمريكا كقطب وحيد في العالم، إذ وفي هذه الظروف "صارت مقولات العولمة تأخذ حيزها وتتقدم، ومن ذلك عودة مصطلح الليبرالية ليحتل الواجهة إما بكلمة مجردة أو مع صفة الجديدة" (الغذامي، عبد الله. 2013، 125). إذا فظهور العولمة كان بمثابة انتصار لليبرالية حسب عبد الله الغدامي، عاد معه هذا المفهوم للساحة ليزاول هيمنته عليها، لكنها ليبرالية هذه المرة بمذاق أمريكي، ولذلك وجدنا كثرا يطلقون على العولمة مسمى الأمركة. ولذلك ارتبط وجود العالمية حسب التيار الليبرالي بهذا النصر الذي تحقق على العدو الشيوعي في المجال الاقتصادي والسياسي والاعلامي، حيث برزت العولمة كهيمنة غربية وأمريكية خاصة في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاعلامية.

ويرى السيد ياسين أن للعولمة تجليات اقتصادية وسياسية وثقافية، فتتجلى في الاقتصاد في سهوله الحركة سواء للأشخاص أو السلع دون إجراءات جمركية أو حمائية، وفي السياسية في سقوط الشمولية والنزوع الى الديمقراطية والتعددية السياسية واحترام حقوق الإنسان، وفي الثقافة تتمثل في الاتجاه إلى صياغة ثقافة عالمية لها قيمها ومعاييرها الموحدة. وأخيرا في الاتصال تبرز خاصة في البث التلفزيوني عن طريق الأقمار الصناعية، ومن خلال شبكة الأنترنت التي تربط البشر في كل أنحاء المعمورة (السيد، ياسين، 1998 ص، ص 32، 33).

إن هذا الوصف لاشك أنه يحمل إشادة بالعولمة، من حيث هو قضاء على الإجراءات الحمائية اقتصاديا، ونشر للديمقراطية وحقوق الإنسان سياسيا، وصناعة ثقافة عالمية من الناحية الثقافية، وهيمنة وسائل الإعلام والاتصال الجديدة إعلاميا، ولذلك كان رفض العولمة من طرف المعارضين أيديولوجيا وسياسيا واقتصاديا وثقافيا بمثابة السير عكس التاريخ ـ حسب أنصار الليبرالية ـ إذ "هناك معركة كبرى أيديولوجية وسياسية واقتصادية وثقافية تدور حول العولمة، هناك اتجاهات رافضة بالكامل، وهي اتجاهات تقف ضد مسار التاريخ"(السيد، ياسين 1998، ص33).

1.3.د: موقف علي حرب من العولمة: (1941/ ...) إن الإشادة بالعولمة صفة طاغية عند الليبراليين ومن بينهم علي حرب، فبعد أن عرفها بأنها "تعميم التبادلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية على نطاق الكرة الأرضية، إنها عملية تحريك للأشياء والأشخاص والأفكار بصورة لا سابق لها من السهولة والديمومة والشمولية" (حرب، علي. 2004، ص39)، يتحدث بنوع من الإشادة بآلياتها ووسائلها المتمثلة في العلم والتكنولوجيا وآخر ما توصلت إليه المعلوماتية، بل هي انعكاس لهذه الوسائل باعتبار الفكر منفعل بهذه الوسائط ونتاج لها كما هو فيعهد التلفاز أو المطبعة أو المشافهة باعتبار أن الشبكات بفضل متابعتها كوكبيا فهي تخلع على هذا الانتاج القافي الطابع الكوكبي، أما بالنسبة للحواسيب والثورة السبرانية فهي تدخل البعد الافتراضي على هذا الانتاج بواسطة ما تقدمه من المخيال السبراني، الذي يعتمد على الرموز الرقمية (حرب، علي. 2004، ص41).

وكان من أثر هذا النزوع نحو الكوكبة المترتب على التقنية الرقمية، تغير آخر على المستوى الاجتماعي يتمثل في الصورة الجديدة التي أصبحت تأخذها المدينة حيث تغير المفهوم الجغرافي المحدود إلى الأفق العالمي على نحو يتيح تشكيل مدينة عالمية مجردة من موقعها الإقليمي (حرب، علي. 2004، ص42).

ويمكن تصور الحل الأمثل للمعضلات التقليدية للعالم العربي وعلى رأسها مسألة الهوية، بفضل ما تتيحه العولمة من قدرة على قلب الأولويات بفضل الانفتاح الذي أتاحته العولمة وذلك "بالخروج على عقلية المحافظة، وإخضاع الهوية للنقد والتشريح أو التفكيك والتعرية، من أجل ابتكار إمكانيات وجودية نتغير بها على ما نحن عليه، بقدر ما نغير قواعد اللعبة بيننا وبين الآخر" (حرب، علي. 2004، 47).

وفي رده على القراءات المتهجمة على العولمة والتي يربطها بالمثقفين التقدميين اليساريين العرب خاصة من أمثال صادق جلال العظم ومحمد عابد الجابري الذين ينطلقون حسبه من أيديولوجيتهم اليسارية المتحفظة على العولمة التي لا يرون فيها إلا كونها نتاجا لتطور وتوسع الليبرالية، فهو يرى في هذه القراءة الأيديولوجية بأنها قراءة رجعية تحكم على العولمة من خلال حكمها على ما قبلها والمقصود هنا الليبرالية، ولذلك هو يصدر حكما عاما على قراءة هذا التيار للموضوع ويصفه بالهشاشة فيقول "وبالإجمال إن القراءة الأيديولوجية هي قراءة هشة تشهد على أصحابها عن مواجهة العولمة...إنها محاولات المثقف النخبوي قولبة الواقع على مقاس مثله ونماذجه ومعاييره...لأنه لو كانت الثقافة التي يدافعون عنها في مواجهة العولمة

والأمركة قوية، لما حصل الغزو الذي يتحدثون عنه" (حرب، علي. 2004، ص47). كما يرد على مزاعم هؤلاء اليساريين بالطابع الأمريكي لهذه العولمة بأنها حاصل مساهمات متعددة ولا تقتصر على أمريكا (حرب، علي. 2004، 53).

1.3. هـ: مناقشة: إن حديث هذا الاتجاه ومن بينهم علي حرب يدور حول الدفاع عن العولمة وهو ما يوافق إيمانهم بإمكان هيمنة الثقافة الواحدة، متجاوزين قضية الهوية إذ يتكلمون عن عالم مفتوح تندمج فيه الهويات، وهو ما لا يمكن تجاوزه، حيث أن الاندماج الثقافي أو الهوياتي بين الثقافات أو الهويات المتعددة لا تعني إلا أمرا واحدا هو سيطرة الأقوى على الأضعف، وهو ما يعني إلغاء الثقافات والهويات المحلية. وأن رفض علي حرب لدعوى ما يطلق عليهم الأيديولوجيين بالحفاظ على الثقافات المحلية والهوية، ورده الأمر إلى ضعف هذه الثقافات وعدم قدرتها على المواجهة، إنما مرده ليس للثقافات في حد ذاتها وإنما إلى عصر الضعف والانحطاط الذي تعيشه الثقافة والإنسان الحامل لها وبالتالي افتقادها لوسائل الدفاع، وهو ما يفرض ليس تجاوزها ولكن الدفاع عنها ومحاولة بعثها من جديد. كما أن الأمر لا يتعلق بإلغاء الثقافات واستيعابها ضمن ثقافة واحدة، ولكن الإيمان بتعددها باعتبار أن العالم لا يمكنه أن يكون عالمي الثقافة، ولكن يمكنه أن يكون متعدد الثقافات.

2.3. الاتجاه الإسلامي: يعبر هذا الاتجاه عن جملة من الكتاب والمفكرين الذين يعتبرون الإسلام بمصدريه الرئيسيين الكتاب والسنة مرجعيتهم الأساسية، حيث يعمل العقل على تنزيل هذه النصوص على الواقع وفق جملة من الآليات والشروط، التي نص عليها الإسلام ذاته، أو ابتكرها المجتهدون المسلمون بحيث تكون متوافقة مع كليات الشرع وملتزمة بها.

2.3.أ. مفهوم الإسلام ومصادر الفكر الإسلامي:

يأخذ هذا التوجه تسميته ومشروعيته من الإسلام، والمقصود بالإسلام لغة على أنه الاستسلام، ويدخل فيه معنى الخضوع والانقياد، ومن أسلم يكون قد أذعن وخضع لله تعالى خضوعاً تاما بكل أوامره ونواهيه (مجموعة من المؤلفين. 1986، ص315)، وأما اصطلاحا فيعرف بأنه الخضوع والاستسلام لله تعالى، وتوحيده والخضوع لأوامره والابتعاد عن نواهيه (مجموعو من المؤلفين. بدون سنة، ص255)، وإن كان المعنى الذي نقصده إنما هو الإسلام الحضاري والثقافي الذي نبع من القرآن والسنة أساسا وبني على خمس أركان الشهادتين والصلاة والصيام والزكاة والحج.

ومعلوم أن مصدري الفكر الإسلامي الرئيسين هما القرآن والسنة كونهما المحددين لأي تصور فكري إسلامي حول القضايا التي يعالجها هذا الفكر أو يتفاعل معها. ويعرف القرآن لغة على أنه لفظ مشتق من مادة الفعل قرأ بمعنى القرء؛ أي الضم والجمع، ومنه القول: قرأت الشيء؛ فهو قرآن؛ أي ألفت بينه، وجمعت بعضه إلى بعض. وأما اصطلاحا فالقرآن الكريم هو كلام الله -تعالى-، المنزل على نبيه محمد ﷺ، المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته (الديلمي، أكرم. (2006، ص19)، وهو مصدر كل تصور عن الحياة والآخرة.

وأما السنة فتعرف في اللغة بأنها الطريقة والسيرة؛ سواء كانت حسنة أو قبيحة. وأما اصطلاحا فهي كل ما صدر عن النبي ﷺ مما يصلح أن يكون دليلا شرعياً، سواء كان قولا، أو فعلا، أو تقريرا (العتيبي، محمد الأشقر. 2003، ص، ص17، 20). وتشترك السنة مع القرآن في ضبط وتحديد التصورات الإسلامية في شتى المجالات الفكرية والنظرية.

2.3.ب. موقف الاتجاه الإسلامي من العولمة: يتفق الإسلاميون في عدائهم للعولمة، من منطلق منطقها الاستحواذي المهيمن، لعدة أسباب أهمها على المستوى الديني حيث يعتقد أنها تهدف إلى ضرب الدين الإسلامي، وفي هذا يرى يوسف القرضاوي بأن الهدف هو تنصير المسلمين بفرض الديانة المسيحية، وإن كان الهدف الخفي الحقيقي هو خدمة المصالح اليهودية (القرضاوي، يوسف. بدون تاريخ، ص35). وعلى المستوى الاقتصادي تبنيها نشر القيم الغربية الاستهلاكية ملغية حق

الشعوب في تملك أدواته انتاجها لما فرضه هذا المنطق من إغراق الأسواق، ومنع المنافسة الشريفة، واستغلال الموارد الطبيعية المحلية وهو ما يراه محمد قطب، إذ يتم أخذ المواد الخام من طرف الشركات الكبرى من العالم الإسلامي بأبخس الأسعار لتعاد على شكل مواد مصنعة وهذا نتيجة منع التكنلوجيا والخبرات اللازمة عن هذه الدول (قطب، محمد. بدون تاريخ، ص3) وعلى المستوى السياسي الهيمنة على القرار السياسي العالمي، ورفض كل منظور مخالف، فالمنطق السائد هو منطق القوة والغلبة، وفي هذا يرى يوسف القرضاوي أن الأمر يتعلق بإخضاع جميع الأمم لسياسة القطب الواحد في العالم ممثلا في أمريكا (القرضاوي، يوسف. بدون تاريخ، ص10). وأما في الجانب الثقافي فيظهر في نشر الثقافة الغربية، وهو ما يظهر في مجالات الفن والعمارة والسلوك واللباس وغير من المظاهر.

2.3.ج: موقف محمد عمارة من العولمة: سنأخذ كنموذج عن الاتجاه الإسلامي محمد عمارة لوجود عديد المؤلفات التي ساهم بها في هذا المجال، ولاتفاقه مع كثير من الإسلاميين في أطروحته عن العولمة. وتعني العولمة بالنسبة لمحمد عمارة على وجه الدقة عملية نشر قيم بذاتها بل وفرضها على مجتمعات مغايرة، وبالتالي الحكم عليها بالتبعية "إن العولمة هي اجتياح الشمال للجنوب اجتياح الحضارة الغربية على باقي الحضارات، وهي التطبيق العملي لشعار نهاية التاريخ...وهو تطبيق يستخدم في عملية الاجتياح أسلوب صراع الحضارات" (عمارة، محمد. 1999، ص14).

ويأتي حكمه عليها من مقارنتها بالعالمية وهي الرسالة التي حملها الإسلام والتي تعني عنده نزعة إنسانية، وتفاعل بين مختلف الحضارات، والثقافات، والتعاون والتكامل والتعارف بين الأمم والشعوب والدول. فالعالم مكان تلتقي فيه الحضارات، في أمور انسانية مشتركة كثيرة، كما تعترف بالفروق بينها باعتبارها تعدد وتنوع (عمارة، محمد. 2009، ص11). إذا فهي مساحة تلتقي فيها الشعوب بغرض التعاون وتبادل المصالح، وليس للصراع واستغلال أمة أو شعب لآخر، ويوافق محمد عمارة في هذا الطرح الشيخ يوسف القرضاوي الذي يرى أن العالمية هي دعوة الإسلام ومبدأ من أهم مبادئه، فهي تقوم على تكريم بني آدم كلهم باعتبارهم يعودون لأب واحد كما يقول الله تعالى ﴿ولقد كرمن بني آدم﴾ (سورة الإسراء، الآية 70) ثم هو يسوي بين الناس وذلك في قوله ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (سورة الحجرات، الآية 13) لكن هذه الآية وإن أقرت المساواة بين الناس، فهي لا تلغي خصوصيات الشعوب، بل هي تقره وتجعل التعارف بينها هو الهدف (القرضاوي، يوسف. المسلمون والعولمة ،بدون تاريخ، ص6).

فإذا كان التصور الإسلامي يتضمن العالمية كحل للمشاكل التي تضعنا فيها العولمة، فما هي العيوب التي تتضمنها العولمة والتي رفضت على أساسها من قبل هذا الاتجاه؟

يرى عمارة أن العولمة مجرد تطور طبيعي للإمبريالية الغربية، والتي تتزعمها أمريكا وقد سمح لها سقوط المعسكر الشيوعي بقيادة الاتحاد السوفياتي إلى مد نفوذها على العالم بأكمله وخاصة العالم العربي والإسلامي، وهو يرى أنها انتقلت بذلك من مرحلة غطرسة القوة ـ التي قامت بعد هزيمة 1967 إلى مرحلة جنون القوة التي بدأت بعد سقوط الاتحاد السوفياتي والكتلة الشرقية (.عمارة، محمد. (2009، ص،ص6، 7)

والعولمة قديمة، قدم التاريخ وإنما تتمظهر في كل عصر بشكل يعكس طبيعة العصر. والقاسم المشترك بين هذه الأشكال والتمظهرات كان عنصر الهيمنة، ومن ذلك حسب محمد عمارة هيمنة الغرب على الشرق منذ فتوحات الإسكندر الأكبر في القرن الثالث قبل الميلاد إلى الفتح الإسلامي حيث ساد تغريب ثقافي كبير بفضل الفكر الهيليني على مدارس الشرق. ثم عاد فظهر في الهجمة الصليبية إلى أن أجلاه المسلمون عن منطقتهم، حيث لم تكن له آثار سوى الخراب المادي لعدم

حمله لأي مشروع ثقافي أو فكري سوى الجانب الحربي. ثم عاد في الغزوة الاستعمارية الحديثة والتي يطلق عليها مرحلة غواية الترغيب والترهيب وهي المرحلة التي أراد أن يُخْرِجَ بها العرب من إسلامهم عبر تغريبهم وبذر الشك في هذه المعتقدات بفصل العربية عن الإسلام بتشجيع اللهجات، وتجنيد الأقليات الدينية لخدمة أهدافه (عمارة، محمد. 1999، من ص15 إلى ص18).

ومحمد عمارة وإن كان يرى بأن العولمة قديمة قدم الهيمنة الغربية، إلا أنها في المرحلة الأخيرة والتي أخذت فيها هذه التسمية، قد أصبحت أكثر شراسة وعنادا، بعد أن تجاوز الغرب تناقضاته بسقوط الشيوعية، وهو ما مكنه من الانتقال من مرحلة الغواية الحضارية والثقافية حيث قل الانبهار به وأصبح الشعب العربي أكثر وعيا إلى نموذج جديد قوامه نهاية التاريخ وصراع الحضارات الذي يتسم بفرض تصورات حضارته على الآخر المختلف وخاصة العربي المسلم (عمارة، محمد. 1999، ص25).

ويعدد محمد عمارة مجموعة من مخاطر العولمة على العالم العربي المسلم، من أهمها منظومة القيم، وحقوق الإنسان. فبالنسبة لمنظومة القيم يرى أن أمريكا والغرب قد سخرت مختلف المنظمات الدولية لتشريع قوانين ووضع معاهدات لخدمة ونشر قيمه، وذلك عبر مجموعة من المؤتمرات من أهمها مؤتمر السكان والتنمية بالقاهرة 1994، ومؤتمر المرأة في بكين سنة 1996 (عمارة، محمد. 1999، ص25)، هذه المؤتمرات التي نصت على قوانين خلفيتها القيمية غربية بحتة لتطبق على سائر المجتمعات المختلفة ثقافيا ودينيا عن الغرب.

وأما ثاني مخاطر العولمة الأكثر خطورة على العالم العربي المسلم فهو مجال حقوق الإنسان، إذ تفرض قيم ومعايير الإنسان الغربي على الكل وخاصة الإنسان العربي، فالإنسان في المفهوم الغربي إنما يتمثل في الإنسان الأبيض، وليس أي إنسان وبالتالي فالحقوق حقوقه، وليست لغيره خاصة إذا تعلق الأمر بنا إذ "الحقوق بمفاهيمها الغربية هي وقف على هذا الإنسان الغربي، أما إنساننا فله الحرمان من هذه الحقوق، اللهم إلا إذا كان المقصد هو التدخل في شؤوننا الداخلية، أي انتقاص أو إلغاء حقوقنا في السيادة الوطنية والقومية، باسم المعايير والمفاهيم الغربية لحقوق الإنسان". (عمارة، محمد. 1999، ص29).

وعلى العموم فإن موقف محمد عمارة والاتجاه الإسلامي من العولمة يتسم برفضهم لها خاصة في جانبها القيمي عندما يتعلق الأمر بنشر قيم الغرب العلماني الليبرالي ومبادئه المقدسة للفرد والمادة على حساب الدين والروح والمجموعة.

2.3: نقد ومناقشة لموقف محمد عمارة من العولمة: تعتبر العولمة أمر واقع فرضته طبيعة الأمور، وعهود من التفوق الغربي على المستويات الثقافية والعلمية والسياسية. وهو أمر لا يمكن تجاوزه بمجرد الرفض، وإنما يقتضي الحال اكتساب جملة من الأدوات والوسائل قد يكون على رأسها العلوم والمعرفة والتكنولوجيا قصد اللحاق بتلك الأمم التي تفرض سطوتها في هذه المجالات. وتوظيف العلوم الاجتماعية والإنسانية قصد التعامل مع تبعاتها الإنسانية والاجتماعية خاصة على المستويات القيمية والسياسية والاقتصادية والإعلامية. ومنه فمنطق التظلم والعداء والرفض التام قد لا يجدي معها، حيث أنها لن تختفي بمجرد لعنها أو تكفيرها.

4. خاتمة:

نظرا لخطورة موضوع العولمة فقد تناول الفكر العربي هذا الموضوع، وانقسم حوله إلى فريقين. فريق رأى فيه الفرصة للانخراط في قطار التقدم بالاندماج في حضارة الغرب والفكاك من التخلف الذي جثم على الأمة منذ عهود بفعل الثقافة والتقاليد البالية، وقد مثل هذا الموقف خاصة التيار الليبرالي الذي يعتبر علي حرب أهم ممثليه.

وفريق يمثله خاصة الاتجاه الإسلامي، والذي يعتبر محمد عمارة أهم ممثليه، جاهر بالعداء للعولمة باعتبارها شر من مسلسل الشرور التي جاء بها الغرب (الإمبريالية، الاستعمار...)، جاءنا بها ليقضي على هويتنا الحضارية والثقافية، ويدمر مقدراتنا الاقتصادية، ويسلب أوطاننا حرياتها كوجه متطور للاستعمار.

النتائج: وتبعا لما سبق يمكننا أن نخرج بجملة من النتائج:

أولا: مواكبة الفكر العربي المعاصر لجديد الفكر وكذا مستجدات الواقع العالميين، ومن ذلك تناوله لمشكلة العولمة، باعتبارها موضوع العصر، وهو ما يدل على فاعلية هذا الفكر أو العقل وقدرته على رصد أهم المشكلات والموضوعات التي تؤثر في الحاضر العربي ومستقبله.

ثانيا: خطورة وأهمية موضوع العولمة على واقع ومستقبل المجتمع العربي، نظرا لطبيعتها المهيمنة في المجالات الثقافية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية.

ثالثا: تضارب المواقف من العولمة تبعا لتعدد اتجاهات الفكر العربي المعاصر، وهو تضارب يعد إيجابيا، إذ يسمح بتبيان مواطن الإيجاب، والسوء في هذه العولمة بفضل ما يضفيه التناقض من جدل ونقد وإثبات وإبطال وغير ذلك.

رابعا: بعد ضعف وانعزال التيار الاشتراكي إثر سقوط الاشتراكية، يأتي الدور على الاتجاه الإسلامي ليمثل دور المعارضة للمواقف الليبيرالية، ومن ذلك موقفها المساند للعولمة، وهذا بتبينيه معارضة راديكالية لهذه العولمة

التوصيات: كان الغرض من هذا المقال تبيان الموقف من العولمة في الفكر العربي المعاصر، لكن اتضح جليا أن هذا الموضوع يحتاج لأكثر من مقال واحد للتطرق لمختلف جوانبه، نظرا لكون الفكر العربي قد تفاعل معه مبكرا، وهذا بمختلف اتجاهاته، ولكون العولمة قد أصبحت أمرا واقعا، بإيجابياتها التي نوه إليها خاصة الاتجاه الليبرالي مع علي حرب أو سلبياتها التي أكد عليها خاصة الاتجاه الإسلامي مع محمد عمارة، فإننا نقترح ما يلي:

أولا: أن الموضوع بحاجة إلى دراسات أدق وأعمق قبل تكوين أي حكم، وهذا بالاستعانة بجملة العلوم الاجتماعية والانسانية.

ثانيا: بما أن الفلسفة هي منظور نقدي بالأساس، لا يهمها أمر الاصطفاف أو الرفض، لذلك وجب التخلي عن الذاتية المفرطة والأحكام المسبقة، والانطلاق في دراسة الظاهرة من منظور موضوعي.

ثالثا: الاستفادة من آليات العولمة في مجالها النظري والفكري في محاولة صناعة مشروع عربي نهضوي وحدوي أو مشاريع نهضوية تعيد الأمة العربية إلى مصاف الأمم المتحضرة.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

المصادر:

1. حرب، علي. (2004). حديث النهايات فتوحات العولمة ومآزق الهوية. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
2. عمارة، محمد. (2009). بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، مكتبة الإمام البخاري، مصر.
3. عمارة، محمد. (1999). مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، نهضة مصر، مصر.
4. الديلمي، أكرم. (2006). جمع القرآن- دراسة تحليلية لمروياته. دار الكتب العلمية، بيروت.
5. السيد ياسين (1998). العرب والعولمة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
6. الصاوي، محمود. (2011). الفكر الليبرالي تحت المجهر، جامعة الأزهر، القاهرة.
7. الظاهر نعيم، (2010) إدارة العولمة وأنواعها، إربد، الأردن، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن.
8. العتيبي، محمد الأشقر. (2003). أَفْعَالُ الرَّسُول صلى الله عليه وسلم وَدَلاَلَتِهَا عَلَى الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، ج1، مؤسسة الرسالة، بيروت.
9. الغذامي، عبد الله. (2013). الليبرالية الجديدة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
10. أمين، جلال.(2009). العولمة، دار الشروق، القاهرة.
11. بو، ميشيل. دو ستالير، جيل. (1971). تاريخ الفكر الاقتصادي منذ كينز، ت: حليم طوسون، دار العالم الثالث، القاهرة.
12. حنفي حسن، صادق جلال العظم. (2000). ما العولمة ، دار الفكر، دمشق.
13. خريشان، باسم علي.: (2001). العولمة والتحدي الثقافي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان.
14. فوكوياما، فرانسيس. (1993). نهاية التاريخ والإنسان الأخير، تر: فؤاد شاهين وآخرين. مركز الإنماء القومي، بيروت.
15. هنتجنشتون، صامويل. (1999). صدام الحضارات، تر: طلعت الشايب، دار سطور، بيروت.

كتب الكترونية:

1. القرضاوي، يوسف. المسلمون والعولمة (بد ت). https://foulabook.com/ar/book/، بدون تاريخ نشر، تاريخ التحميل: 16-09-2021.
2. قطب، محمد. (بد ت) المسلمون والعولمة، https://foulabook.com/ar/boo. بدون تاريخ نشر، تاريخ التحميل: 22-09-2021.

أطروحات جامعية:

1. أبو صالحة، أشرف غالب. (2011-2012). تأثير العولمة السياسية على الوطن العربي. رسالة دكتوراه، جامعة الشرق الأوسط، فلسطين.
2. شلالدة، سمير عبد الرحمان. (2008) الليبرالية الجديدة في العالم العربي. رسالة لتكملة متطلبات الماجيستير، جامعة بير زيت، فلسطين.

مقالات:

1. حموم فريدة. (2012). تأثير العولمة في بلورة قيم التنمية الإنسانية. مجلة الفكر، (العدد السابع)، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل، (253-277).

2. خلف، سليمان نجم. (1997). العولمة والهوية الثقافية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، عدد 61، (55-64).

المعاجم الفلسفية:

1. وهبة، مراد. (2007). المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة.